

منبر المحراب

حق المرأة ودورها

(نموذج السيدة زينب الحوراء رضي الله عنها)

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨٨١ - ٢٩ / ربيع ثاني / ١٤٣١ هـ
الموافق ١٣ / نيسان / ٢٠١٠ م

محاور الموضوع الرئيسية :

الهدف: التعرف على نظرة الإسلام إلى المرأة وحقوقها، ومعرفة نموذج المرأة الكاملة من خلال سيرة السيدة زينب رضي الله عنها.

تصدير الموضوع: عن أمير المؤمنين رضي الله عنه: «صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها» غرر الحكم ٥٨٢٠

مقدمة: المرأة قلب المجتمع، ومركز حياته وبقائه، فكما أن القلب في الجسم البشري مركز حياة، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع. والمرأة تمثل نصف المجتمع وتربي النصف الآخر فكانها كل المجتمع ومدرسة تربية له، ولذا: وراء كل رجل عظيم امرأة، وكذلك إذا فسدت المرأة تكون مصدر فساد المجتمع وضياعه. قال الإمام علي رضي الله عنه: «النساء أعظم الفتنتين» (غرر الحكم، ١٦٨٠).

١- نظرة المجتمعات القديمة إلى المرأة: لقد اضطرب المعيار الاجتماعي في تقييم المرأة وتحديد منزلتها الاجتماعية في عصور الجاهلية القديمة أو الحديثة، فاعتبرت حيناً من الدهر مخلوقاً قاصراً منقطعاً، ثم



وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب ٣٥)

وقد جعل حبها من علامات الإيمان، عن رسول الله ﷺ: «كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء» (النوادر للراوندي، ١٢)

٣- السيدة زينب رضي الله عنها نموذج المرأة القدوة: إن التربية الملتزمة الواعية توصل المرأة إلى منزلة القيادة والقدوة والكمال، للنساء بل للرجال أيضاً، كما وصلت إلى هذه المنزلة الرفيعة بعض النساء المميزات في حركة التاريخ، ومن هؤلاء النساء السيدة زينب رضي الله عنها التي جسدت مختلف أدوار المرأة:

أ- العناية النبوية والعولية بالسيدة زينب رضي الله عنها: يبدو لنا من خلال تتبع حياة هذه المرأة العظيمة... أنها كانت معدة إعداداً إلهياً خاصاً للقيام بهذا الدور العظيم الذي حفظ الإسلام من التحريف، فقد ذكر المؤرخون أن النبي ﷺ حين علم بمولد زينب رضي الله عنها وجم ويكى وضمها إلى صدره وهو يوسعها تقبلاً، «حتى أثار ذلك عجب أمها سيدة نساء العالمين» فقالت: «ما يبكيك يا أبتى؟ لا أبكى الله لك عيناً»، فقال ﷺ: «يا فاطمة أعلمي أن هذه البنت بعدي وبعدي سوف تنصب عليها الرزايا والمصائب». ومن عناية أمير المؤمنين ببنته أنه كان يُطْفئ مصابيح الضريح المقدس للنبي الأكرم ﷺ عند زيارتها له فقد حدث يحيى المازني قائلًا: «كنت في جوار أمير المؤمنين رضي الله عنه في المدينة مدة مديدة وبالقرب البيت الذي تسكنه

اعتبرت شيطاناً يسؤل الخطيئة ويوحي بالشر، ثم اعتبرت سيدة المجتمع تحكم بأمرها وتصرفه بمشيئتها. وهي في تقييم الحضارة الرومانية رقيقاً تابعاً للرجل، يتحكم فيها كما شاء. ثم غالت في قيمها فحررتها من سلطان الأب والزوج، ومنحتها الحقوق الملكية وحرية الطلاق، وحرية التبذل والإسفاف، وهي في عرف الحضارة اليونانية تعتبر من سقط المتاع، تُباع وتُشتري، وتعتبر رجساً من عمل الشيطان، وقضت شرائع الهند القديمة «أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار... خير من المرأة» وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضةً غبن وحيف، تُؤكل حقوقها وتُبتز أموالها، وتُحرم من أرثها، وتُغفل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً ترضاه، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة، وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد وكان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق.

٢- نظرة الإسلام إلى المرأة: لقد لحظ الدين الإسلامي في تشريعاته المرأة وأعطاه حقوقها كافة، وحفظها وحماها من كل الظلم التي تعرضت له عبر التاريخ، فهي المولودة المحترمة والمدللة، وهي الفتاة والشابة العفيفة التي تتلقى التربية التي تحميها من أيدي الفاسدين، وهي الزوجة ذات الحقوق والواجبات، وهي الأم المكرمة، وبالخلاصة يمكن القول إن التشريع الإسلامي قد حفظ الحقوق المعنوية والمادية للمرأة، وساواها في الحقوق مع الرجل حيث لا يتعارض مع عفتها وواجباتها الأخرى. قال الله تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

إليه يصعد الكلم الطيب

هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، تكتلك أمك يا بن مرجانة..

ب- ثباتها ومواجهتها للظالمين:

لما دخل موكب السبايا الكوفة، خرج الناس إلى الشوارع، بين متسائل لا يدري لمن السبايا، وبين عارف يكفكف أدمعاً ويضمّر ندماً ولما أتجه موكب السبايا نحو قصر الإمارة، مُخترقاً جموع أهل الكوفة، وهم يكون لما حلّ بالبيت النبوي الكريم، قال بشير بن خزيمة الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذ، ولم أر خفرة والله أنطق منها، كأنها تفرع من لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثم قالت: «الحمد لله، والصلاة على جدي محمد وآله الطيبين الأخيار، أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثّل التي نقضت غرلتها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم... أتبكون وتنتحبون؟ إني والله فأبكون كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارهاوشنارها...»

لقد تمكّنت (عليها السلام) بمواجهتها الجريئة للظالمين من إيضاح الصورة للرأي العام وإثارتهم على الأمويين، وإظهار المصيبة الكبرى التي داهمت العالم الإسلامي بقتل ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفرعتهم عقيلة الرسول بخطابها البليغ، وعرفتهم زيف إسلامهم، وكذب دموعهم، وأنهم من أحطّ المجرمين، فقد اقترفوا أفظع جريمة وقعت على الأرض، بقتل الإمام الذي أراد لهم الخير، وفروا بقتله كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتهكوا حرمة، وسبوا عياله، فأبى جريمة أبشع من هذه الجريمة.

المدينة المنورة تلقتها نساء أهل البيت ونساء المسلمين بكل لوعة وأسى..

ج- قيس من صفاتها الطيبة:

- عبادة زينب (عليها السلام): كانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن، قالت فاطمة بنت الحسين (عليه السلام): وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة أي العاشرة من المحرم في محرابها، تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة. وفي رواية: أن الحسين (عليه السلام) لما ودّع أخته زينب وداعه الأخير قال لها: يا أختاه لا تسيني في نافلة الليل... (وفيات الأئمة، ٤٤١).

- إثارةها (عليها السلام): وروي عن الإمام

زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: «إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفرائض والتوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألناها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم واللييلة..» (المصدر نفسه)

- شجاعتها: قال ابن مرجانة سائلاً

عنها: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فأعرضت عنه احتقاراً واستهانة به، وكرّر السؤال فلم تجبه، فأجابته إحدى السيدات: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال لها: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم، وأبطل أعدوتكم. فأجابته (عليها السلام) بشجاعة أبيها محتقرة له قائلة: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة».

- تسليها: وكذلك عندما خاطبها

مستهزئاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فأجابته قائلة: «ما رأيت إلا جميلاً،

زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين (عليه السلام) أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأحمد ضوء القناديل فسأله الحسن (عليه السلام) مرة عن ذلك، فقال: «أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب»، وفي بعض الروايات: «إن الحسين (عليه السلام) إذا زارته زينب يقوم إجلالاً لها، وكان يجلسها في مكانه» (وفيات الأئمة، ٤٣٦).

ب - مراحل حياتها:

- أدركت السيدة زينب (عليها السلام) جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهي على الاصطلاح: صحابية.

- وأدركت أمها فاطمة الزهراء (عليها السلام) ورأت مصيبتها، وسمعت خطبتها في المسجد النبوي.

- وشاهدت أذى القوم لها، وكسر ضلعها وسقط جنينها واستشهادها وتشيعها ودفنها (عليها السلام) ليلاً.

- وأدركت أباه الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكانت حاضرة خطبه وجهاده واستشهاده..

- وسمعت جبرائيل (عليه السلام) ينادي بين السماء والأرض: «تهدمت والله أركان الهدى».

- وأدركت أخاها الإمام الحسن (عليه السلام)، ومصائبه، وتسميمه، وقذف كبد..

- وحضرت كربلاء بكل قضايها الفريدة في العالم.

- وأدركها الأسر، ولأول مرة تؤسر بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت (عليها السلام) هي التي أوصلت صوت الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العالم بأجمعه. وأحضرت مجلس ابن زياد ومجلس يزيد، ومن ثم عودتها إلى مدينة جدها (صلى الله عليه وآله) بكل مأسيتها، وفي